د/ نجاح سلطان

محاضرة 03: دوافع الاستشراق: دينيا، استعماريا، ثقافيا ...

مستوى: أولى ماستر تخصص: تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

دوافع الاستشراق في العصر الوسيط في الغرب الإسلامي

الدافع الديني

التبشير والتنصير كانت العلاقة بين الإسلام والمسيحية علاقة صراع ديني في كثير من الفترات.

سعت الكنيسة الكاثوليكية إلى فهم الإسلام لأجل مواجهته فكريًا ولاهوتيًا.

مثال: **ترجمة القرآن** إلى اللاتينية في القرن 12م على يد "روبرت أوف كيتن" بأمر من رئيس دير كلوني والكتابات التي حاولت **نقد العقيدة الإسلامية**، مثل أعمال بطرس المبجل.

الدافع الثقافي:

الفضول المعرفي والاستفادة من العلوم الإسلامية كالعلوم الإسلامية في الأندلس ودول المغرب التي كانت في أوج تطورها (الطب، الفلك، الفلسفة، الرياضيات...) فقد ترجم الأوروبيون أعمال العلماء المسلمين للاستفادة منها، مثل:**ابن رشد** (Averroes) في الفلسفة الزهراوي في الطب البتاني في الفلك.

كانت أوروبا في العصور الوسطى تُعرّف نفسها كـ"عالم مسيحي متمدن" مقابل "عالم إسلامي غريب ومُهدِّد."

كان هناك اعجاب بالثقافة الإسلامية من جهة، ومحاولة احتوائها من جهة أخرى لكن الحضارة الغربية مركزية ففي الأندلس شاهد الأوروبيون حضارة متقدمة علميًا وفكريًا، فانبهروا بها لكن هذا الانبهار ترافق مع رغبة في فهمها واحتوائها، وربما تحويلها إلى "تراث أوروبي" منزوع من سياقه الإسلامي.

أيضا كانت هناك محاولات لإنتاج صورة "الشرق المتخلف" كتبرير للتدخل الثقافي فالاستشراق الحديث صوّر المجتمعات الإسلامية كمجتمعات جامدة" تحتاج إلى تدخل أوروبي هذه الصورة الثقافية استخدمت كتبرير لـ:

1. فرض اللغة والثقافة الغربية.
2. سياسات الإدماج (كما فعلت فرنسا في الجزائر).
3. تحجيم الثقافة الإسلامية والأمازيغية لصالح "النموذج الأوروبي."

الدافع الاستعماري والسياسي

لم يكن الاستعمار قد بدأ فعليًا في العصر الوسيط، لكن بدأت تظهر توجهات نحو فهم "الآخر" تمهيدًا للسيطرة عليه فكان الاستشراق في بداياته يُستخدم كأداة لفهم المجتمعات الشرقية بغرض إخضاعها فكريًا أولًا ولم تكن أوروبا قد بدأت توسّعها الاستعماري بشكل فعلي، لكنها كانت تحضر لذلك معرفيًا.

معرفة المجتمعات الإسلامية، خصوصًا في الغرب الإسلامي، كانت خطوة أولى نحو التفكير في السيطرة السياسية والاقتصادية مثال :*البرتغاليون* في القرن 15 بدأوا بجمع معلومات دقيقة عن المغرب وسواحله استعدادًا للتوسع البحري.

لكن في القرنين 18 19م، أصبح الاستشراق جزءًا من مشاريع الهيمنة الأوروبية على العالم الإسلامي.

كان هناك دراسة اللغات لتسهيل السيطرة الإدارية (كما فعل الفرنسيون في الجزائر والبريطانيون في الهند).

- مثال: الحملة الفرنسية على مصر 1798، قادها نابليون ورافقه علماء مستشرقون (أنشأوا "مجمع العلماء") لدراسة المجتمع المصري وتسهيل السيطرة عليه.

ملاحظة: الاستشراق لم يكن معزولًا، بل كان من عناصر:

- الاستكشاف الجغرافي.
- البعثات التبشيرية.
- الوجود العسكري.
- الهيمنة اللغوية والتعليمية.

أما سياسيا كان هناك صراع بين الأندلس والدول المغاربية فالصراع الطويل بين الممالك المسيحية في الشمال ودول الغرب الإسلامي)الأندلس، المرابطون، الموحدون) حيث أدى إلى الاهتمام بجمع المعلومات عن:

- التنظيمات السياسية.
- القوة العسكرية.
- الجغرافيا والمسالك.

مثال: حملات الاسترداد الإسبانية (Reconquista) دعّمت هذا التوجه.

الدافع الاقتصادي – الطموح التجاري

موقع الغرب الإسلامي كبوابة لإفريقيا جعل منه محطّ اهتمام تجاري أيضا لمعرفة اللغات والعادات والتقاليد ساعدت التجار الأوروبيين في التعامل مع سكان المنطقة خاصةً في سواحل المغرب والأندلس، حيث كانت الأسواق مزدهرة.

بعض المستشرقين في العصر الوسيط

- **روبرت الكيتوني :(Robert of Ketton)** ترجم القرآن سنة 1143م.
- **جيرارد الكريموني :(Gerard of Cremona)** ترجم كتب ابن سينا والرازي.
- **بطرس المبجل :(Peter the Venerable)** صاحب موقف نقدي ضد الإسلام.

قراءة لدوافع الاستشراق

1. لا يمكن حصر الاستشراق في دافع واحد، بل هو **تركيب معقد** من الأهداف.
2. رغم الطابع العدائي أحيانًا، فقد ساهم الاستشراق في نقل المعارف الإسلامية إلى أوروبا.
3. لكنه أيضًا كان أداة لبناء **صورة نمطية عن المسلمين** تم استخدامها لاحقًا لتبرير الاستعمار.